مكتبة البنين
قسم الدوريات

حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الثامن عشر

١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم[1]

د. ولفرد جورج لامبرت
قسم التاريخ
جامعة برنجهام - بريطانيا

مقدمة :

كانت حروف الكتابة المسمارية من أقدم نظم الكتابة إن لم تكن أقدمها على الإطلاق. والكتابة هي طريقة اخترعها الإنسان لتسجيل كلامه، فهي ليست مجرد رموز تنقل رسائل لا تعني لغة ما، كما هي الحال في الأرقام، إذ الأرقام تعني توضيح رسالة من مثل توقيت ساعة من نهار، أو رقم هاتف، أو مسألة حسابية، حيث لا تعني أشكال الأرقام أصوات أية لغة من لغات البشر أو كلماتها التي تسمى بها تلك الأرقام. ولقد استعمل الإنسان الرموز على نطاق ضيق قبل أن يهتدي إلى الكتابة بزمن طويل.

والمرجّح حتى الآن أن الكتابة اخترعت في سومر أي المنطقة المتاخمة للخليج العربي من جنوب العراق حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م. واتخذ السومريون ألواحاً من الطين للكتابة عليها، وهو خامة متوفرة محلياً، وصنعوا من البوص أقلاماً ينقشون بها على سطح الألواح الطينية.

واتخذوا العديد من الرموز للتعبير عن كلمات بكاملها (شكل ١) فرسم سمكة يعني كلمة أو لفظة سمكة ورأس الثور أو رأس الحمار أو سنبلة الشعير كل منها يعني اللفظة التي تُطلق في لغتهم عليه.

ونظراً لصعوبة نقش الصورة على الطين، فقد طوروها إلى مجموعات من النقوش تشبه المثلثات الضيقة كأنها المسامير، كما هو في اللوحة. وكان الكاتب يمسك القلم

(١) محاضرة ألقاها بجامعة قطر يوم السبت ١٥ / ١١ / ١٩٩٤م نقلها إلى العربية الدكتور درويش مصطفى الفار، متحف قطر.

بيده بين إصبعيه الشاهدة والوسطى ضاغطاً به على سطح اللوحة الطينية، ويحركه بزاوية صغيرة جداً لكيما يصبح الحرف شبيهاً بمسمار.

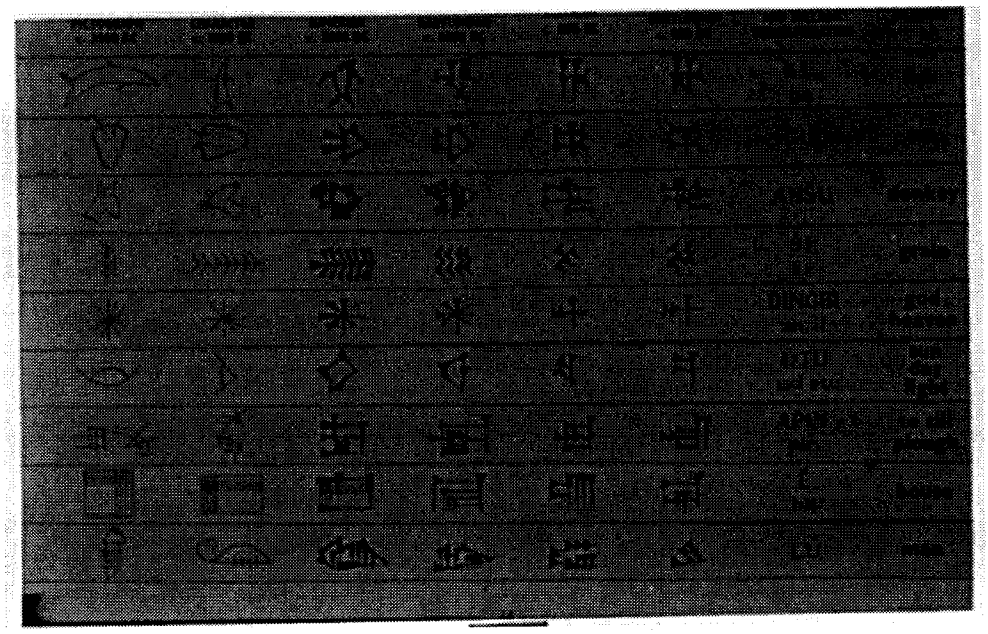

شكل (١)

فبعدما بدأ هذا النظام الكتابي يصور الأشياء، تحول إلى نظام كتابة صحيح في فترة ما بين سنة ٣٠٠٠ وسنة ٢٥٠٠ ق.م. وذلك بتقسيم الكلمة إلى مقاطع، فالكلمة السومرية للسمكة هي (كُ – وُ) فقطعت إلى (كُ) و (وُ) وبذلك تطورت الكتابة إلى استعمال المقاطع، مع استمرار استعمال الرموز كذلك، وأصبح النظام الكتابي الجديد خليطاً من الرموز التي تعني كلمات كاملة ومعها رموز المقاطع، مما يعني أنه لم يصل بعد إلى أبجدية خالصة، لأن الحروف الساكنة لم تكن قد اخترعت لها رموز بعد وطور السومريون هذا النظام الكتابي بحيث ظلت لغتهم بنظامهم هذا هي السائدة فيما بين سنة ٣٠٠٠ وسنة ٢٠٠٠ ق.م. ونحو سنة ٢٥٠٠ ق.م. استعمل نظام الكتابة السومرية هذا، لكتابة لغة الاكاديين ثم البابليين والأشوريين السامية في أعالي النهرين. وعندما أخذت

السومرية في الاضمحلال، استمر البابليون، فيما يقع اليوم بين بغداد والبصرة، وكذلك الأشوريون في الشمال، في بلاد الموصل، في استعمال الكتابة المسمارية، إلى أن انتهى أمرها تحت وطأة الاستعمار الهلّيني (اليوناني) في القرن الميلادي الأول.

وكانت المشكلة الكبرى في نظام الكتابة المسمارية هي كثرة حروفه المقطعية ورموزه، مما لا يقل عن (٢٥٠) رمزاً شائعاً فضلاً عن أنه كان لبعضها أكثر من معنى وفي الأبجديات التي بدأ ظهورها حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. نجد أن ما يقل عن ثلاثين حرفاً، يمكن التعبير بها كتابة عن لغة كاملة.

ونرى في شكل (٢) نقشاً أشورياً (سنة ٧٠٠ ق.م.) يبين منظر كاتب ينقش بالمسمارية على لوحات من طين، وخلفه كاتب آخر يكتب بقلم على قرطاس أو سِجِل من الجلد بالأبجدية الآرامية فيما يبدو.

شكل (٢)

ولقد عثر المنقبون على العديد من اللوحات المسمارية فيوجد على سبيل المثال لا الحصر زهاء (١٣٠,٠٠٠) ألف لوحة في المتحف البريطاني وحده، وزهاء (٧٥,٠٠٠) لوحة مثلها في إسطنبول، هذا عدا مجموعات صغيرة هنا أو هناك. وتلك اللوحات لاشك، ذات أهمية كبيرة جداً في تاريخ الحضارة الإنسانية، ولكن ما يدعو إلى الأسف، أن القليل من العلماء هم القادرون اليوم على قراءتها.

ولكي نتعرف تنوع مادة تلك النقوش، نختار لوحة في الرياضيات بابلية (شكل٣) ترجع إلى سنة ١٩٠٠ – ١٨٠٠ ق.م. ونقشت عليها أرقام تُعبّر عن مضمون نظرية

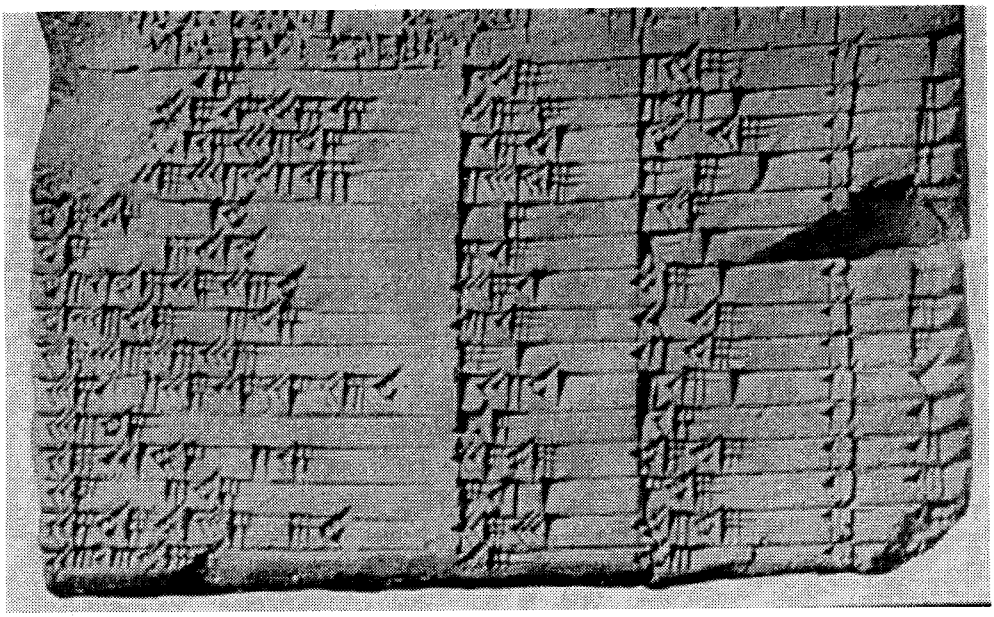

شكل (٣)

فيثاغورس التي تتناول العلاقة بين وتر المثلث قائم الزاوية وضلعيه، من حيث أن مربع الوتر يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين. ولقد ظل الناس قروناً طويلة ينسبون تلك العلاقة الرياضية إلى فيثاغورس الأغريقي (سنة ٣٠٠ ق.م.)، ولكن قراءة تلك اللوحة الطينية البابلية أكدت لنا أن علماء بابل هم أصحاب فضل في تلك المعرفة قبل

فيثاغورس بخمسة عشر قرناً من الزمان، وما كان فيثاغورس إلاّ أحد المستفيدين من تلك المعرفة القديمة. في شكل (٤) نجد صورة جذاذة من ثبت تاريخي قديم يرجع إلى حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. يسرد تواريخ الأحداث المتتابعة بدقة قد لا يلحقها الخطأ إلاّ في عام أو عامين، فقد كان الأشوريون يؤرخون بأسماء موظفي الإدارة الكبار مطلقين أسماءهم على السنة حيث كان الواحد من أولئك الموظفين يشغل الوظيفة عاماً واحداً فقط. ولزيادة التنظيم كانوا يفصلون بخط أفقي كلما انتهى عهد ملك من الملوك وجاء من بعده. وفي بعض تلك الجداول كانوا يذكرون بعض الحوادث الهامة في كل سنة، ومن تلك الحوادث كسوف الشمس مثلاً، ويمكن التأكد من تاريخهم للكسوف بحسابات علم الفلك الحديثة بسهولة. وبذلك نجد لوحاتهم سجلاً للتاريخ والزمان حتى سنة ١٠٠٠ ق.م.

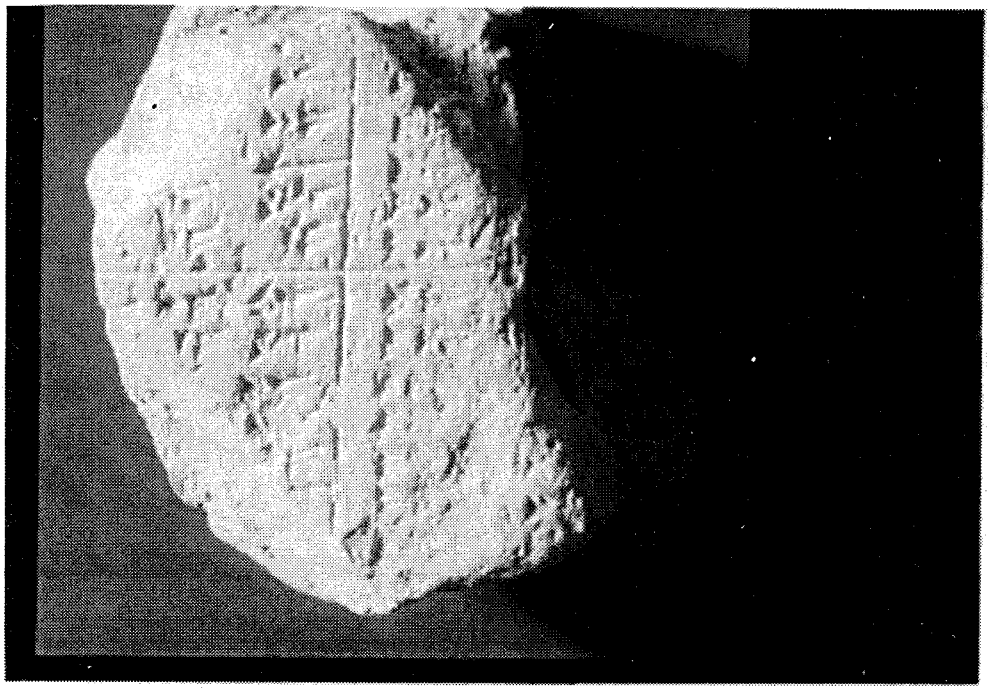

شكل (٤)

والجذاذة التي في الشكل تدل على أن اللوحات كانت تتعرض للكسر مما يدعونا إلى دقة إعادة وضع ما نعثر عليه من جذاذات اللوحات المسمارية في أمكنتها الصحيحة لنستطيع الاستفادة مما نقش عليها من المعلومات.

وفي شكل (٥) نقرأ رسالة تحمل تفاصيل واقعة مصرع ملك آشور الشهير (سنحاريب). وقد كان معروفاً من لوحات كثيرة قبل هذه (شكل ٥) أن بعض أبنائه قد قتله. ولكن هذه اللوحة التي نقشت بعد عدة أسابيع من مصرع سنحارب، تذكر دقائق تفاصيل تلك المأساة الدموية، مما لم تذكره اللوحات المعروفة قبلها.

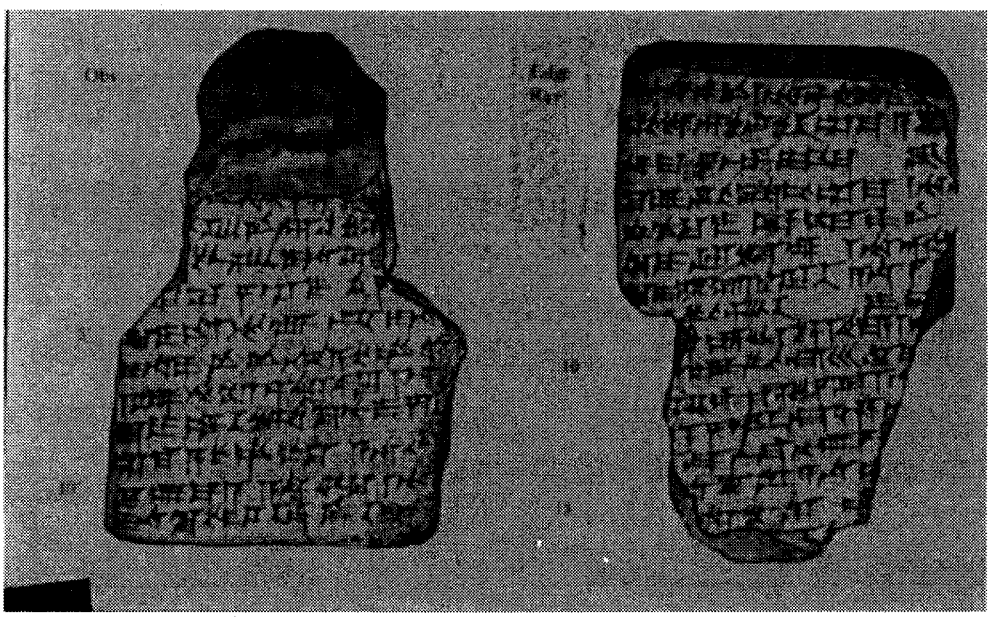

شكل (٥)

ونجد في (الشكل ٦) ثلاث لوحات مزدحمة بالنقوش ترينا مقدار اهتمام أولئك الأقدمين بالكتابة الأدبية، كالقصص والملاحم والحوادث.

شكل (٦)

ولعل من أشهر القصص في الشرق الأدنى القديم تلك التي سموها ملحمة جلجامش، تلك الدراما التي تتناول عاطفة إنسانية عميقة، هي عاطفة الخوف من الموت.

كان جلجامش ملكاً على مدينة أوروك السومرية (حالياً الوركاء) حوالي سنة ٢٦٠٠ ق.م. ووردت قصته في أكثر من أثر، وأشهر سرد لها هو ما كتبه (سين – لاقي – بونيني) الكاتب من أوروك الذي عاش حتى سنة ١٣٠٠ أو سنة ١٢٠٠ ق.م. ولقد جاءتنا نصوصها من أثار بابل وآشور التي ترجع إلى ما بين سنة ٧٥٠ وسنة ٢٠٠ ق.م.

يقول الكاتب في فصله الختامي، إن جلجامش كان شبه مقدس نظراً لأن أمه كانت من طائفة الآلهة، ومن هنا كان يُسخّر رعاياه للكثير من الأعمال الشاقة المرهقة، حتى أنهم لجأوا إلى آلهتهم بالدعاء لخلق رجل يستطيع أن يوقف جلجامش عن الظلم والعسف أو يعزله، فخلق الآلهة شخصاً اسمه (إنكيدو) وجعلوا مسكنه في البر الواسع الفسيح مع الوحوش، فلم تكن له خبرة أو معرفة بحياة البشر وطبيعة مجتمعاتهم. وحيث إن

مخه كان مخ آدمي، فقد استطاع، بتفهمه لتركيب المصايد والأحابيل التي يستعملها الصيادون، أن يبطل مفعولها وبذلك ينقذ ما حوله من حيوانات البر. ولما فطن الصيادون لخطورة (إنكيدو) تشاوروا، واستقر رأيهم، على إرسال إحدى عاهرات مدينة أوروك إلى البر لتوقع (إنكيدو) في أحابيلها بأن تراوده عن نفسها. وما أن مضى على (إنكيدو) أسبوع واحد من صحبته للعاهرة، حتى أهمل رفاقه من حيوانات البر فبدأت تلك الحيوانات تنفض عنه وتزهد في صحبته. وهنا أغرته العاهرة بالمضي معها إلي المدينة فرافقها إلى أوروك. وهنالك تعلم لبس الثياب، وأكل طعام أهل المدينة وأدمن شرب الخمر، وتحول من مجير للحيوانات البرية إلى مرشد يساعد الصيادين ويدل الرعاة على طرائق حماية قطعانهم من خطر الوحوش.

وعرف (إنكيدو) أن جلجامش الملك، كان من عاداته الرسمية أن يضاجع كل عروس في المدينة قبل أن تذهب إلى بيت الزوجية. فاستاء لذلك السلوك المزري وتصدى لمنع جلجامش من ممارسة تلك العادة الحقيرة وحدث بينهما شجار أدى إلى عراك ومصارعة عنيفة وتغلب جلجامش على إنكيدو، ومن بعد ذلك أصبحا صديقين حميمين.

ثم يأتي من بعد ذلك الفصل الرئيسي من ملحمة جلجامش حيث يروي الكاتب، أن جلجامش شاهد جثة رجل ميت طافية على سطح النهر فانتابه الذعر وانزعج خوفاً من الموت، لاسيما وأن عقيدة السومريين والبابليين تقول بأن أرواح الموتى تذهب إلى العالم السفلي وهو عالم بشع رهيب يعجز اللسان عن وصفه وذكر أهواله، وأن كل الأرواح تذهب إليه قسراً وليس من ذلك نجاة لا لملك ولا سوقة.. وفي مبدأ أمره كان جلجامش لا يسعى للإفلات من حتمية الموت، حيث كان يمني النفس بخلود الذكر بعد الموت، بالقيام بعمل عظيم.

عرف جلجامش أنه يوجد على بُعد من أوروك جبل شامخ حصين عليه غابة من أشجار الأرز، ويقوم على حراسته وحش ضخم مقدس اسمه (حوواوا) أو (حمبابا)

يمنع كل من حاول الوصول إلى الغابة لقطع الأخشاب من أشجار الأرز.

قرر جلجامش غزو تلك الغابة ووضع خطته كي يقتل الوحش الرهيب الحارس، ويقطع الأخشاب، وحاول أهل أوروك إثناءه عن عزمه، ورجاه إنكيدو أن يعدل عن خطته الخطرة، ولكنه صمم على ما عزم عليه واستطاع أن يقنع إنكيدو بمصاحبته عوناً ودليلاً، وحملاً من السلاح ما استطاعا وانطلقا صوب الغابة..

وفي طريقه رأي جلجامش أحلاماً مزعجة كثيرة ولكن ذلك لم يؤثر في أعصابه إلاّ لفترة قصيرة من التردد، وتقدم مع إنكيدو، وانقض على حوواوا وقطع رأسه، ثم بدأ في قطع أشجار الأرز، وعاد منتصراً مختالاً إلى مدينته، أوروك حيث أقام أهلها له في شوارعها مسيرات النصر، واقتنع جلجامش بأن ذلك العمل البطولي هو الذي يخلد ذكراه إلى الأبد.

وهنا لم يختم الأديب البالي القصة كحكاية بطولة بسيطة، بل حول مسارها إلى تراجيدية، حيث قال إن جلجامش أثناء تجواله مزهواً فخوراً في شوارع أوروك لمحته إشتار الإلاهة المحلية لأوروك، وهامت بحبه ويسميها السومريون (إينانا)، وعرضت عليه الزواج منها. ولما كان جلجامش يعرف المصير المشئوم الذي انتهى إليه كل أزواجها السابقين، فقد رفض عرضها بصلف وغرور، ودون أي أدب أو ذوق، أخذ يعيرها بقصص أزواجها السابقين. اغتاظت اشتار (إينانا) وطارت إلى السماء حيث طلبت من أبيها الإله الأكبر (آنو) أن يرسل معها ثور السماء المقدس، كي تنتقم لكرامتها من جلجامش ومن رعاياه. وبعد تردد وافق الإلاه (آنو) آله السماء على طلب ابنته وأذن لها بالثُور المقدس الذي نزل، خارج أسوار أوروك. أسرع جيش أوروك بالتعبئة لمواجهة الثور. نفر الثور نفرة فانخسفت حفرة عميقة في الأرض وابتلعت مائة وخمسين رجلاً، ثم نفر نفرة أخرى وابتلعت حفرتها مائة وخمسين رجلاً آخرين.

وهنا تقدم جلجامش وإنكيدو لإنقاذ الموقف. قفز إنكيدو فوق ظهر الثور وأمسك بقرنيه، ثم أعمل جلجامش سيفه في نحره فقتله. وتعالى تصفيق وهتافات أهل أوروك تحية للبطلين، ووقفت إشتار (إنيانا) فوق السور تولول وتندب الثور القتيل، فما أن لمحها جلجامش حتى غضب وقطع إحدى إرجل الثور وقذفها نحو إشتار متوعداً إياها بأنه سوف يجعل مصيرها كمصير الثور عندما تحين الفرصة.

وصلت تفاصيل ما صنعه البطلان جلجامش وإنكيدو بالثور المقدس بعدما قتلا حوواوا حارس جبل غابة الأرز، إلي الآلهة فعقدوا مؤتمراً وقرروا معاقبة هذين الخارجين على النظام والقانون، وقضوا أولاً بموت إنكيدو. وقع إنكيدو مريضاً، ولم يطل به المرض فمات، وعندئذ هلع جلجامش لموت صاحبه، وظل واجماً بجانب جثته حتى خرج الدود من أنفه.

وبذلك واجه جلجامش حقيقة الموت عياناً بياناً، فاختل تفكيره، وانطلق هائماً على وجهه وحيداً في السهوب والبراري ينوح ويبكي رفيقه وصديقه الحميم إنكيدو.

وهنا تطرق كاتب القصة إلى توضيح مسألة الخوف، خوف الإنسان وجزعه من الموت متمثلاً بجلجامش الذي لم يكن مؤمناً بوجود أية سعادة له في الحياة الأخرى ولا خلود ينتظره في دار الرحمة والبركة، وكفر بمسألة البحث عن عمل يخلد ذكراه، بعد أن شاهد الموت بحواسه الواعية، وعدل عن الاقتناع بأهمية الأعمال البطولية العظيمة، فإنها لا تمنع الموت الشخصي، وتمكنت منه الرغبة في البحث عن وسيلة تمنع عنه الموت الشخصي، وفي خضم بحثه الفكري عن تلك الوسيلة تذكر أنه كان قد سمع عن رجل وحيد في الدنيا، اعتصم من الموت وسيعيش إلى الأبد على حافة الكون، فقرر جلجامش السعي للقاء ذلك الرجل ليعرف منه سر خلوده.

كانت رحلة جلجامش للقاء الرجل الخالد، رحلة شاقة ومضنية طويلة في ظلمة

حالكة مخيفة إلى أن انقشعت الظلمة عن حدائق رائعة التنسيق والجمال والبهجة، حيث أوراق أشجارها وثمارها من الجواهر النادرة. التقى جلجامش في مسيرته بالعديد من الآلهة والكائنات الغريبة، وكل من عرف قصده نصحه بالعدول عن مواصلة الرحلة، ولكنه لم يأبه بنصح وسار في طريقه وقد اتسخ بدنه ورثَّت ملابسه التي كانت من جلود الحيوان، حتى بلغ الموبقَ العائق الأخير وهو النهر المحيط بالأرض. وكان الرجل الخالد يعيش مع أهله على الجانب المقابل للنهر وكان اسمه كما تروي الأسطورة هو (أُوتانفشتيم). وكان النهر يسمى ماء الموت، لأن كل من يبتل بمائه يقضي عليه بالموت المؤكد.

التقى جلجامش بالبّحار الذي يعبر النهر بقارب أوتانفشتيم ولكن البحار أفاده بأنه ليست لديه سلطة أو تفويض بنقله للشاطىء الآخر، فقامت بينهما مشادة أدت، دون قصد، إلي تلف الجهاز السحري الذي يحرك القارب، ولكن جلجامش لم ييأس، فقطع عدة أغصان من أشجار غابة قريبة لكي يحرك بها القارب. وكان يستعمل كل غصن مرة واحدة فقط ثم يتركه بعد أن يدفع القارب مسافة ما، لكي لا يلمس ماء النهر بدنه، ولما انتهت أغصانه بعد أن عبر مسافة كبيرة كان حظه أن تهب ريح ساعدته على اتخاذ شراع من ملابسه ليكمل العبور.

وهنالك لقي أوتانفشتيم، وأخبره عن سبب زيارته وهو أنه يريد أن يعرف سر خلوده.

قال أوتانفشتيم، إن الآلهة قرروا منذ دهر طويل لسبب غير معلوم، إفناء الجنس البشري بطوفان غامر، وأن الإله العظيم (إيا) كان صديقاً لاوتانفشتيم فأسر له بالقرار، وأشار عليه بصنع سفينة ينقذ بها نفسه وأهله وحيواناته حين يأتي الطوفان. وبعد أن هدأ الطوفان وغيض الماء تبين للآلهة أن خطتهم قد فشلت، وأن بعض البشر قد نجوا من الطوفان.

وعند ذلك قرر الآلهة منح أوتانفشتيم وزوجته صفة الخلود، واسكنوهما عند حافة الكون،وسمحوا بأن تعمر ذريتهما الأرض مرة أخرى. واعتذر أوتانفشتيم لجلجامش لعجزه عن استدعاء الآلهة لمنح جلجامش الخلود، فانكسر خاطر جلجامش، ولكن أوتانفشتيم قال له بأن النوم رمز للموت، فإن استطاع أن يتغلب على النوم لفترة أسبوع فإنه بذلك يُثبت أحقيته في الخلود بقرار من الآلهة. وحيث أن جلجامش كان قد أرهقته الرحلة الشاقة الطويلة، فإنه قد خر نائماً، ولم يستيقظ إلاّ بعد أن أوقظ، وبذلك واجه حقيقة رسوبه في الامتحان. صدرت الأوامر لجلجامش بأن يعود إلى مدينته. وخفف من حزنه ما أخبره به أوتانفشتيم عن وجود بئر عميقة في مكان حدده له، وإن في قاع البئر نباتاً شوكياً، من أكل منه سوف يستعيد شبابه ويظل خالداً، عبر جلجامش نهر الموت عائداً، واتجه نحو البئر التي وصفت له، ونزل إلى قاعها بحجر مربوط في طرف حبل طويل، كذلك الذي يستخدمه غواصو اللؤلؤ في الخليج، وانتزع النبات وخرج به من البئر. ولم يأكل جلجامش من النبات على التو، بل حدثته نفسه أن يحفظه إلى أن تتقدم به العمر ويحتاج لتجديد شبابه. وفي رحلة عودته إلى المدينة توقف جلجامش ليستحم في أحد الغدران، ووضع النبات على الشاطيء، وهنا خرج ثعبان من جحره وابتلع النبات، وما لبث أن سلخ جلده دلالة على استعادة شبابه. أسقط في يد جلجامش فأجهش بالبكاء لأنه لم يجن أية فائدة من رحلته، وسار في طريقه إلى أوروك، وعندما شاهد عظمة السور الذي كان قد بناه حول المدينة وضخامة صرح المعبد الذي كان قد شُيده خلال عهد ملكه هدأت نفسه قليلاً.

وهنا وصل كاتب القصة إلى خلاصتها، وهي أن جلجامش رغم فشله في التوصل إلي خلود شخصه ونجاته من الموت فإن عزاءه في مأساة الفشل، هو الخلود لذكراه وصيته مما كان يصبو إليه في أول أمره، وذلك بالمنشآت التي شادها في أوروك فضلاً عما قام به من بطولة في جبل الأرز. ونحن نقبل طبعاً بما وصل إليه الكاتب، إذ أن مجرد حديثنا

اليوم عن جلجامش إنما يعني أن ذكراه خالدة باقية. وليس هناك ما يدعو للشك في أن جلجامش كان فعلاً أحد ملوك أوروك السومرية، ولكننا لا نملك ما يفيد بأنه كان فعلاً مهتماً بأخشاب الأرز.

ومقارنة بملاحم أخرى في القصص القديم مثل ملحمة هوميروس الإغريقي، نجد أن ملحمة جلجامش في بلاد ما بين النهرين لا تعتمد على رواية واحدة، وتلك ميزة كبرى لها على غيرها، فقد عرفنا خمس قصص في الأدب السومري عن جلجامش تدور كلها حول الموضوع الأساسي رغم أنها غير متشابهة تماماً، وترجع إلي وثائق منقوشة فيما بين سنة ٢٠٠٠، سنة ١٥٠٠ ق.م.، ثم اختفى ذكرها بعد ذلك تماماً في مخلفات السومريين الأدبية. ولقد أخذ البابليون اثنتين من تلك القصص البطولية، وأدمجوهما في ملحمة بابلية فريدة مع إضافة أو إضافات من مصادر أخرى. وقصة الطوفان هي الوحيدة التي عرفناها في ملحمة قائمة بذاتها تنسب إلى كاتب يسمى (أترا – حاسيس).

ومن النادر في دراسات ما بين النهرين، أن نعثر على رسومات ولوحات فنية تتعلق بالآثار الأدبية وما ورد فيها من قصص. وقد توجد بعض محاولات من ذلك القبيل بيد أنها إما خطأ أو خالية من البرهان، ولكن جلجامش هو الاستثناء الوحيد – حتى الآن – في ذلك بمعنى أن هنالك لوحات فنية تتعلق بملحمته. ونرى جلجامش في الكتب القديمة على هيئة بطل مفتول العضلات، عارياً من الثياب، يتمنطق حول وسطه بحزام من ثلاثة خيوط ويعلو وجهه شعر لحية كثيفة، ويرى بعض الباحثين أن ذلك هو رسم جلجامش وصورته، كذلك يرون أن أي شخصين يجمعهما نقش واحد هما جلجامش وإنكيدو، وثبت اليوم أن أحد تلك النقوش المنسوبة لجلجامش إنما هو لأخر اسمه (لاحورو) وهنالك العشرات من النقوش من هذا القبيل، مما ثبت خطأ نسبته لجلجامش. ولكن هنالك نقوشاً يوجد فيها بطلان يصارعان وحشاً أو عفريتاً، تتفق في تفاصيلها مع ما جاء في آداب السومريين والبابليين عن جلجامش وإنكيدو وحوواوا وجبل الأرز.

ولا نستطيع القول بأن النقوش والأعمال الفنية نادرة في آثار بلاد ما بين النهرين فيما يتعلق بالأساطير والقصص، فهنالك الكثير منها، ولكن من المشكلات التي تجابه الباحثين عدم وجود تعليقات كتابية على اللوحات، ولذلك فإن استيضاح تلك الأشكال والمناظر الفنية ليس بالأمر اليسير. ولقد درج الباحثون منذ حوالي قرن من الزمان، على اعتبار أن أية لوحة تحمل صورة شخصين قويين إنما هي عن جلجامش وانكيدو (شكل ٧)، ففي تلك اللوحة احتدم الجدل، فقال البعض، إن الشخص العاري في يمين اللوحة هو جلجامش، وإن الثور ذا الوجه الآدمي إلى اليسار هو انكيدو، ولكن تبين بالبحث الدائب أن هذه اللوحة التي ترجع إلى سنة ٢٢٠٠ ق.م. تحمل صورة بطل آخر اسمه (لحمو) ومعناها (أبو شعر) وأن الرجل الذي يشبه الثور إنما هو (جودااليم) ومعناها الثور القوي، أي أن تلك اللوحة (رقم ٧) ليست لها علاقة بملحمة جلجامش. ونجد العديد من لوحات الألف الأولى والألف الثانية قبل الميلاد مما يحمل صورة بطلين.

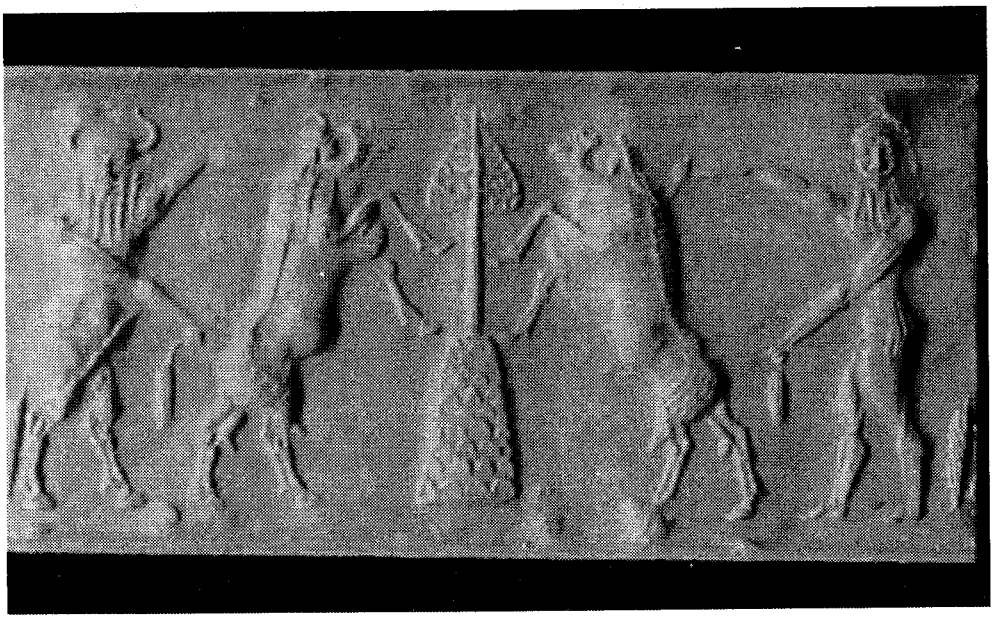

(شكل ٧)

ففي (شكل ٨) وهو لوحة طينية بابلية ترجع إلى ما بين سنة ١٩٠٠، سنة ١٧٠٠ ق.م. نجد صورة كائن مركب من إنسان وحيوان، وقد قتله بطلان آدميان يقف كل منهما جانباً، وهذا مادفع إلى الظن بأنهما جلجامش وإنكيدو، وذلك لأن معظم اللوحات التي تتعلق بذبح الوحوش المخيفة يكون المنتصر فيها شخص واحد فقط في العادة.

ونحن نجد تفاصيل موائمة للرواية السومرية عن جلجامش وغابة الأرز، حيث يظهر

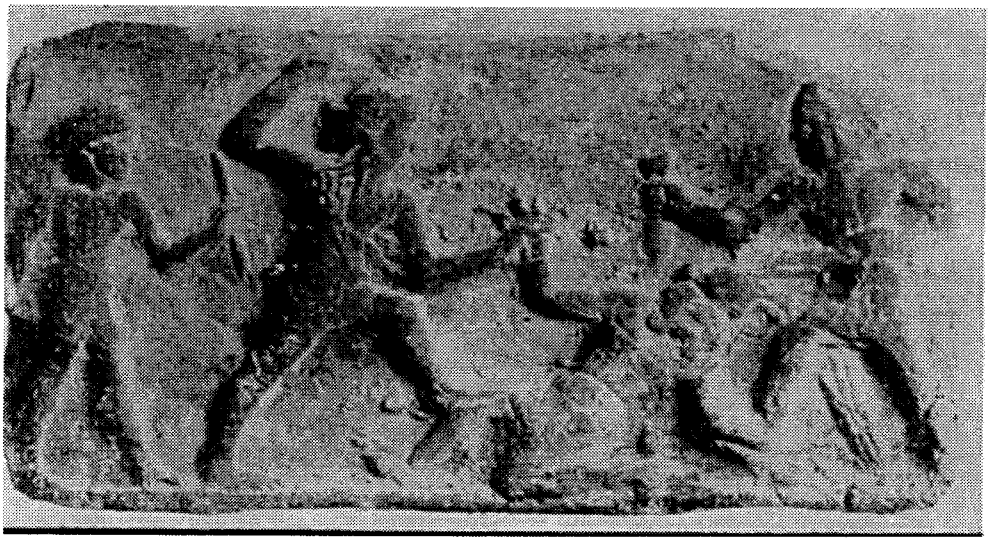

(شكل ٨)

أنكيدو كالخادم وليس كرفيق السلاح، وعلى يسار اللوحة (شكل ٨) نجد شخصاً ذا لحية كثة، مما يدل على علو رتبته، ومع ذلك نجد الشخص الأدنى هو الذي يحز رأس الوحش. وفي الرواية السومرية لملحمة جلجامش وغابة الأرز نجد أن انكيدو هو الذي قطع رأس حوواوا وليس جلجامش، ولذلك نقول بأن هذا المنظر في مقتل حوواوا مطابق للرواية السومرية. وعلي ختم من أختام سنة ١٤٠٠ ق.م. الاسطوانية (شكل ٩) نجد نفس المنظر ولكن بتبادل البطلين لموقعيهما، فنجد أن جلجامش الملتحي يقف إلى اليمين لمساعدة رفيقه إنكيدو، غير الملتحي، الواقف إلى اليسار يطعن الوحش بسيفه.

(شكل ٩)

وفي الرواية البابلية لملحمة جلجامش، نجد أنه هو الذي قطع رأس حوواوا، وظل ذلك اعتقاد الباحثين منذ سنة ١٠٠٠ ق.م. وهنالك نقش على لوحة من البرونز من الفن البابلي (سنة ١٠٠٠ ق.م.) (شكل ١٠) نجد فيها جلجامش متميزاً بلحيته الكثة

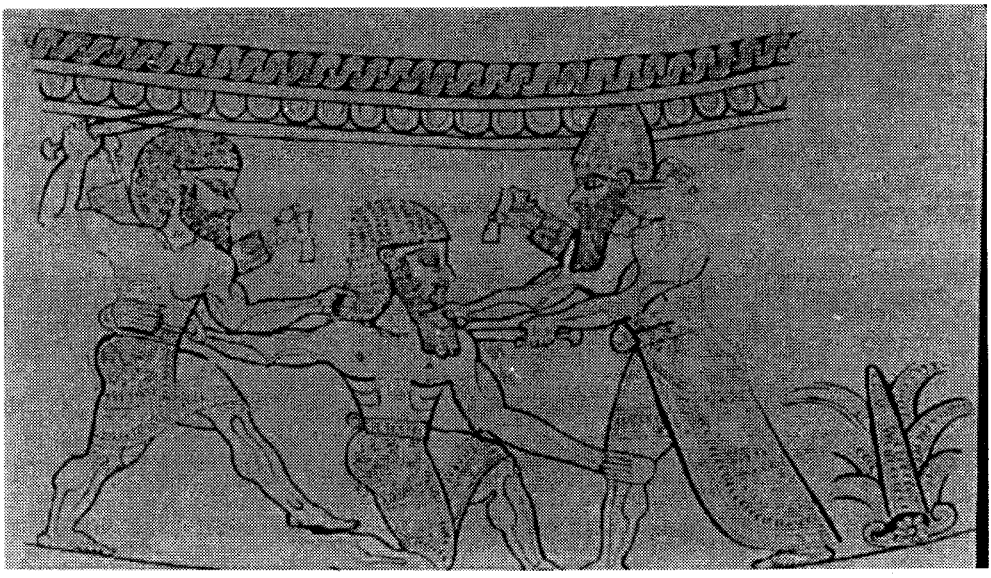

(شكل ١٠)

وقبعته وثوبه الطويل عن رفيقه انكيدو وأنه، أي جلجامش، هو الذي يقطع رأس الوحش. وكذلك نجد ما سلف على ختم اسطواني أشوري (سنة ٨٠٠ ق.م) في (شكل ١١).

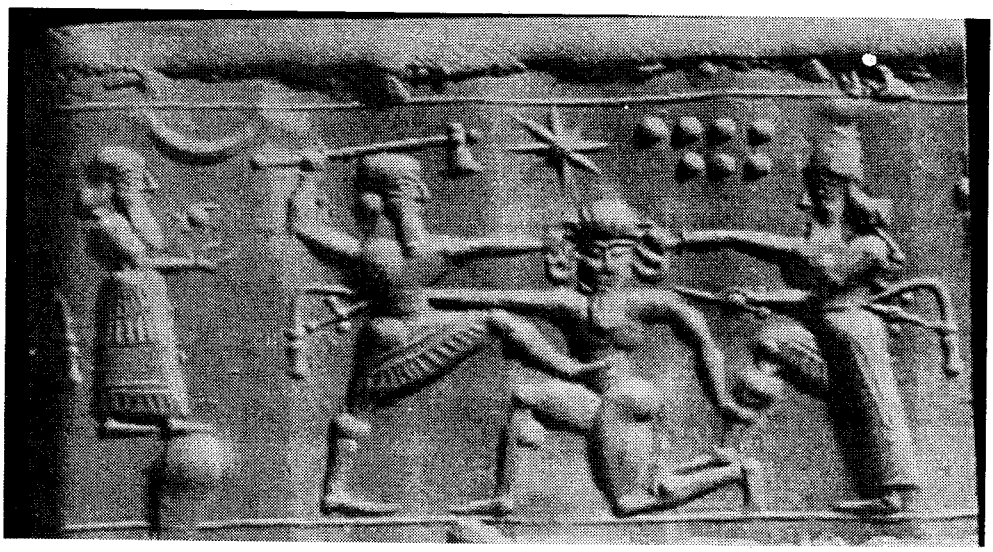

(شكل ١١)

وقد شاع هذا الرسم في بلاد الاغريق حيث استبدل حوواوا بالوحش (غورجون) الذي ذبحه بطل الإغريق (شكل ١٢) في القرن السادس قبل الميلاد.

(شكل ١٢)

وهنالك منظر بابلي لملحمة جلجامش في الفن البابلي عن مصرع ثور السماء. وفي الفن البابلي الجديد (٨٠ – ٧٠٠ ق.م) (شكل ١٣) نجد البطلين يحاصران ثوراً له

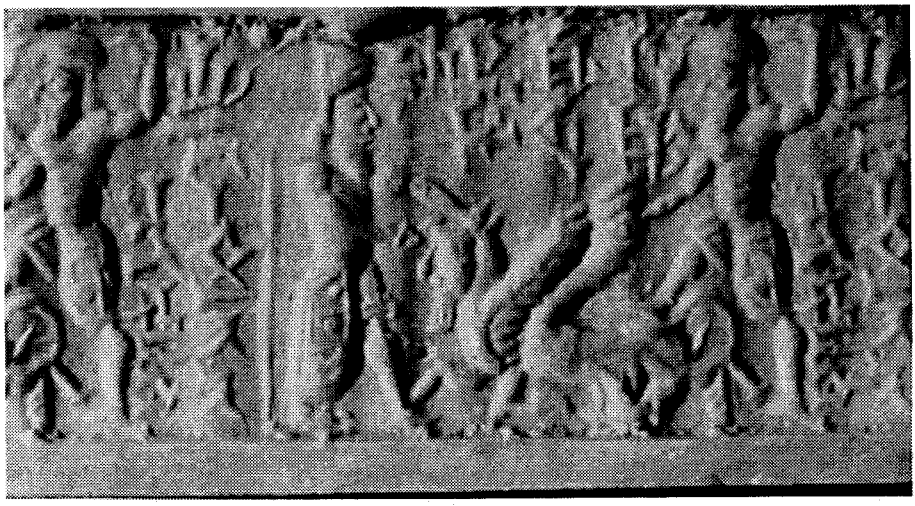

(شكل ١٣)

أجنحة (شكل ١٤)، كما أن هنالك لوحة متآكلة تحمل نفس المنظر. وأمكن التوفيق بين اللوحات والروايات على الرغم من عدم وجود أية تعليقات مكتوبة معها، ولكن يستطيع المرء أن يؤكد أنها تتعلق بملحمة جلجامش الشهيرة.

(شكل ١٤)